الغروب المجيد

وأخيرا غربت شمس المرادية ، التى ظل نورها متألقا أكثر من نصف قرن ، بعد أن ذاقت أعظم أمجاد الحياة ، وأعذب الأمانى ، ثم بعد ذلك ذاقت كؤوس الهوان فى عهد محمد على ، وبعد ما تقلدت أعنة المجد فى عهد على بك ومراد بك ، كبا بها القدر فى عهد مظالم محمد على ، ونكبت أشد نكبة بمأساة القضاء على المماليك .

ولكن صاحبة الجبهة العالية ، التى انطبقت عليها سمات الكرامة والعزة والإباء لم تنحن ، وما زالت مشرقة وضاءة ، ورغم ضياع أموالها ومصادرة ممتلكاتها ، بقيت إلى آخر لحظة من حياتها موئل الفقير وملاذ المحتاج .

وفى الثلاثين من أبريل عام ١٨١٦ م ، ١٢٣١ هـ ، انتقلت هذه الروح العظيمة من دار الفناء إلى سماء الخالدين ، ودفنت فى القرافة الصغرى بجوار الإمام الشافعى على مقربة من قبر زوجها على بك الكبير .

وقد نعاها الجبرتى فى وفيات ذلك العام وقال فى ترجمتها : « إنها عمرت طويلا مع العز والسيادة والكلمة النافذة ، وأكثر نساء الأمراء من جواريها ، ولم يأت بعد الست شويكار من اشتهر ذكره وخبره سواها » . وقال : « إنها كانت من الخيرات ولها على الفقراء بر وإحسان ، ولها من المآثر : الخان الجديد ، والصهريج داخل باب زويلة ، توفيت يوم الخميس العشرين من جمادى الأولى بمنزلها المذكور بدرب عبد الحق ، ودفنت فى